

مفهوم البيداغوجيا في الخطاب القرآني: سورة العلق أنموذجاً

[Concept of Pedagogy in the Holy-Quran: Surah Al-Alaq as a Model]

Dr. Muhammad Belal Hossain

Dean, Faculty of Arts and Professor, Department of Islamic Studies, University of Rajshahi, Bangladesh

ARTICLE INFORMATION

The Faculty Journal of Arts
Rajshahi University
Special Volume-7
ISSN: 1813-0402 (Print)

Received : 30 January 2025
Received in revised: 13 April 2025
Accepted: 16 March 2025
Published: 25 October 2025

Keywords:
Concept, Pedagogy, Quran,
Surah Al-Alaq

ABSTRACT

Pedagogy is one of the most important studies in the field of education. It aims to develop education processes and change the traditional teaching methods. It helps in improving the quality of education, in increasing the efficiency of the learning process as well as providing effective techniques and methods to activate the student and motivate them to learn and pay attention to the topic. Islam is a perfect religion where its teaching includes all the rules in organizing the affairs of human life related to the world and the hereafter. The great book of Islam is Al-Quranul Karim. The Holy-Quran, covertly or overtly, provides unique pedagogical lens for educators. The formula and theory of educational goals in perspective of the Holy-Quran consist of several aspects such as *Iarbia Al-Jasmiyah* (Physical Education), *Iarbia Al-Ruhiya* (Spiritual Education) *Tabiya Al-Aqliya* (Cognitive Education), *Tabiya Al-Wajdaniya* (emotional education), *Tabiya Al-Khaluqia* (Moral education) etc. We can see many pedagogical instructions are presented in the Holy-Quran, especially in Surah Al-Alaq for educator guidance. This paper tries to analyze the concept of pedagogy present in the Holy-Quran and also focus on the educator guidance.

١. تمهيد

تُعَدُّ سورة العلق أول خطاب ربّاني يفتتح به الوحي مسار التربية الإيمانية والمعرفية للإنسان، وهي في جوهرها ليست مجرد أمر بالقراءة، بل تأسيس لبيداغوجيا ربانية متكاملة؛ بيداغوجيا تُعيد بناء علاقتنا بالعلم، وبالكون، وبالخلق، وبالقيمة، وبالمسؤولية الأخلاقية. فالقرآن لا يقدّم المعرفة بوصفها مادة ذهنية محايدة، بل يقدّمها كفعل تربوي يؤسّس للوعي، ويُؤدّ التغيير، ويُهدّب السلوك، ويُعيد الإنسان إلى مركز الاستخلاف. من خلال تحليل سورة العلق كنموذج، تتضح خصوصية الخطاب التربوي القرآني في بناء المتعلّم، من إثارة السؤال، وتوجيه النظر، وتمكين الفهم، إلى ترسيخ قيمة القراءة والكتابة، وربط مصدر العلم بالرب الخالق. وهذا يشكّل مدخلاً لبلورة مفهوم البيداغوجيا القرآنية، ليس من أجل إضافته ضمن حقل البيداغوجيا الحديثة فقط، بل من أجل استعادة النظرة التربوية الأصلية التي يؤسّس عليها القرآن مشروع الإصلاح المعرفي والحضاري. وعليه، فإن هذه الدراسة تسعى إلى الكشف عن مرتكزات البيداغوجيا في الخطاب القرآني من خلال سورة العلق، وإبراز كيفية صياغة الوعي التربوي الأول عبر الوحي، واستقراء مبادئه في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والعلم والتعلّم.

٢. مفهوم البيداغوجيا

هي كلمة يونانية تتكوّن من مقطعين الأول (paidos) وتعني الطفل والثاني (logia) وتعني قيادة، فهي تعني القيادة و السياق كما تعني التوجيه، و الاصطلاح هي من يرافق المتعلمين لتحقيق أهداف تربوية نبيلة ويحرص على تربيتهم لا معاقبتهم، وهو ما أكدّه العلامة ابن خلدون في مقدمته عن كيفية إيصال المعارف إلى المتعلمين.^١ وعرفها علماء التربية بما يأتي من التعريفات:

(١) قال بعض علماء التربية: هي علم بأصول وأساليب التدريس مشتملةً على الأهداف والطرق الممكن اتباعها من أجل تحقيق تلك الأهداف.^٢

(٢) قال عزيزي عبد السلام: هي مجموعة الطرائق والتقنيات والخطوات التي تميز تعلم مادة معينة بيداغوجية القراءة، الحساب، العلوم الطبيعية... أو نشاط أساسي يجب تحفيزه عند التعلم بيداغوجية الاكتشاف، أو دخولا محددًا في الممارسة التربوية بيداغوجيا الأهداف.^٣

(٣) قال بعض علماء السوسولوجيا: هي إنّ البيداغوجيا هي طريقة التدريس المتبعة وممارستها من قبل المعلمين أصحاب الاختصاص.^٤

(٤) قال بعض علماء السيكولوجي: هي مصطلح عام يحدد من ناحية علم وفن التدريس، ومن ناحية أخرى طريقة التدريس، وتستعمل في معناها الضيق لتحديد التقنيات البيداغوجية.^٥

(٥) قال بعض علماء التربية: هي فن التدريس أو طرائق التدريس الخاصة بحقل أو مادة أو مستوى تعليمي أو بالفلسفة التربوية، وهي نمط من التفكير والفهم ونمط من المعرفة العامة للظواهر التربوية.^٦

(٦) قال بعض علماء التربية: هي البيداغوجيا هي مجموع الممارسات النظرية والتطبيقية الهادفة إلى حل المشاكل المرتبطة بعمليات التواصل بين خصين فأكثر، سواء أكانت هذه المشاكل في ميدان التربية والتعليم أم في المسرح والسينما، أم في ميدان المناظرات والعلاقات الثقافية.^٧

٣. شرح التعريف

يتضح لنا من التعريفات السابقة أن البيداغوجيا هي نظرية وفعل في آن واحد، تُعرّف في علوم التربية بأنها دراسة عملية التعلم والتعليم، وكيفية نقل المعرفة والمهارات، بالإضافة إلى الأفكار والمعتقدات التي توجه سلوك المعلمين وتؤثر في ممارساتهم التدريسية في سياق اجتماعي وثقافي وسياسي محدد. إنها تشمل دراسة أفضل السبل لتوجيه وتنمية المتعلمين، مع الأخذ في الاعتبار عوامل متعددة مثل الاحتياجات الفردية والخلفيات المعرفية والاجتماعية للمتعلمين. عُدت البيداغوجيا في العصر الحديث فنّ التدريس أو علم التدريس، وأحياناً مهنة التدريس. وهناك من يدمج في تعريفها الفنّ والعلم في آن واحد، مُستخدماً عبارة علم فنّ التدريس "The science of the art of teaching"، مشيراً إلى علم يُطوّر، باستمرار، المعلمون المبتكرون والباحثون الأكاديميون الذين يُحلّلون الممارسات التعليمية، وتُشير البيداغوجيا، بشكل عام، إلى أيّ نشاط وإع مُصمّم من قبل شخصٍ لتعزيز التعلّم لدى شخصٍ آخر، وبالتالي فهي تُحيل إلى المهارات والمقاربات التي يستخدمها المعلمون لتحقيق الأهداف من دروسهم، أو المناهج التي يُوظفونها في التدريس، والتي تختلف من مُعلّم إلى آخر، ومن وقت إلى آخر، تبعاً لطبيعة مادّة التدريس، أو الاستجابات المحتملة للأطفال المستهدفين في عمليّة التدريس.^٨

٤. البيداغوجيا في الخطاب القرآني

البيداغوجيا في الخطاب القرآني تعني فن وعلم تربية وتعليم الإنسان وفقاً لتعاليم القرآن الكريم، حيث يركز القرآن على طرق إيصال المعرفة وتنمية الكفايات بشكل أخلاقي وتربوي، واضعاً دور المعلم كمرشد موجّه، والتركيز على المتعلم بخصائصه الفردية، بالإضافة إلى بناء المعرفة التي تركز على المبادئ القرآنية لتحقيق الأهداف التربوية والإنسانية. إن القرآن الكريم حوى كثيراً من الإشارات البيداغوجية في آياته الباهرة، كما رأيناها تنص في بعض المواضع التالية:

(١) **الإبانة والبيان:** إن القرآن الكريم في مجمله مبني على البيان، بل إن قناته قناة بيانية بامتياز، فاللسان العربي لسان إبانة وإيحاء، بل الإنسان نفسه قد أودع فيه الله هذه الميزة، ميزة البيان، ﴿الرَّحْمَنُ • عَلَّمَ الْقُرْآنَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ • عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ولأجل الإبانة يقول تعالى ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ ولصاحب التحرير والتنوير مذهب لطيف في سياق هذه الآية «يقال فرق الأشياء إذا باعد بينها... ويطلق الفرق على البيان، لأن البيان يشبه تفريق الأشياء المختلطة فيكون فرقناه احتمالاً معنى بيناه وفصلناه»^٩ فيكون أصل في تنزيل القرآن منجماً قصد إظهار معانيه، وتحلية دلالاته عمالاً بأحكامه وفقاً لما اقتاتته حكمة الشارع، بل إن البيان نفسه يجري مجرى التواصل.

(٢) **التوجه الاصلاحى والإرشادى:** ففي سياق تواصل نبي الله يوسف مع صاحبي السجن، جاء الخطاب الذي واجه به النبي صاحبي السجن نداءً، وشكل جوابه استفهاماً ذا سمة تنويرية بالغة، يقول تعالى: ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَأَرَبَابٌ مُتَّفَقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾، إن التواصل الحاصل في هذه الآية ينم عن التوجه الإصلاحي الإرشادي الدعوي للأنبياء، إرشاد مهما ضاق المكان الذي حلوا به، ومهما تأزمت الأحوال وعسرت الأمور، وأية عسرة أظف من أن يتوارى الإنسان في قعر مظلمة الجدران، ومن دون ذنب أو مُقْتَرَف، ومع ذلك فلا بد للدعوة أن تسير سيرها الحي، يقول سيد قطب: «وينتهز يوسف هذه الفرصة ليثبت للسجناء عقيدته الصحيحة، فكونه سجيناً لا يعفيه من تصحيح العقيدة الفاسدة والأوضاع الفاسدة القائمة على إعطاء حق الربوبية للحكام الأرضيين وجعلهم بالخضوع لهم أرباباً يزاولون خصائص الربوبية ويصبحون فراعين»^{١٠}

(٣) **العظة والوصية:** إن القرآن الكريم حوى من الإشارات البيداغوجية في كثير من آياته، كما رأيناها كيف ينص المثال الشافي في وصايا لقمان الحكيم لابنه، فإنه نوع راق من التواصل البيداغوجي في مفهومه العام، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ • وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ • وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا • وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا • وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ • ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ومن الإشارات التربوية الرفيعة في الوصايا، ومن الملامح البيداغوجية التي وسمت خطاب لقمان مع ابنه نستشف ما يأتي:

أولاً: تدرج لقمان عليه السلام في نصحه ابنه، فركز على النهي عن الشرك أولاً؛ وهذه إستراتيجية في النصح عظيمة النفع جليلة القدر، تنمهي مع ما يعرف بترتيب الأولويات ونظيره في الفكر البيداغوجي احترام الأولويات في رسم الأهداف لتثبيت الموارد والمعارف.^{١١}

ثانياً: نه لقمان عليه السلام خطاب اللين ذا السمة التحببية في مخاطبة ابنه بمنأع عن أسلوب الغلظة والجفاء، إنه أسلوب استمالة القلوب، مما يجعلها تدعن إلى النصيحة وتقبلها عن طيب خاطر. وهذا أسلوب مطلوب في عمليات التدريس لتحقيق الانسياب التواصل، وتلكم آليات مفقودة في الكثير من المدارس والمعاهد.^{١٢}

ثالثاً: مخاطبة لقمان ابنه بأسلوب واضح يستوعبه العقل دونما عائق أو حاجز، فجاءت مقاطع الوعظ قصيرة المبني عظيمة الفائدة، ولاشك أن لقمان الحكيم قد مد قناة تواصلية مجدية، إلى جانب ماحباه هـ به من بلاغة قول وفطنة عقل، وقدرة على التأثير، وهذه صفات وجب على المدرس أن يعمد إلى صقلها في خصيته، وأن يطورها في أدائه.^{١٣}

(٤) التواصل الزمني: إن للتعليم زمناً محدداً، تحقق الأهداف مرتبط بهذا الزمن، والجودة تغيب عند تضيقه أو تقليصه، بل إن المربين ربطوا بين التفوق الدراسي أو فشله وبين المدة الزمنية المخصصة للتعليم، فإذا ما تفوق تلميذ ما فان ذلك يعود إلى أن زمن تعليمه ملائم لزمن تعلمه، وإذا فشل فان ذلك يعود إلى فارق بين زمن التعليم وهو الزمن الحقيقي temps reel والزمن الضروري للتعليم. والآيات دعت حقيقة إلى الحفاظ على الزمن الذي سيحفظ فيه الرسول الأكرم القرآن.^{١٤} ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ • إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ • فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^{١٥} قال عبد الكريم^{١٦} في تفسير الآية: إن الله سبحانه وتعالى بمشيئته قادر أن يُحْفَظَ الرسول ﷺ القرآن كله في طرفه عين، أو ليس سبحانه هو المعرج بنبيه إلى سدره المنتهى في زمن معجز؟ ولكنه سبحانه أراد أن يجعلها منهاج حياة ، فانسجما مع الفطرة السليمة، فإن الإنسان لا بد له من فترة زمنية لاكتساب المعارف، وتحصيل التعلّمات، وهذه الفطرة نفسها تقتضي أسساً يشكل الزمن أحد دعائمها، والزمن الضروري للتعليم يستند إلى ثلاثة متغيرات أساسية: أولاً قدرة المتعلم على الفهم والوقت الذي يحتاجه المتعلم في عمله ثانياً، وثالثاً نوعية الأدوات والوسائل التعليمية اللازمة للمساعدة على إحداث التعلم.^{١٧}

(٥) التيسير: أن التيسير يفضي إلى نتيجة تتمثل في نيل المراد، وبلوغ المقصد، وله دلالة كثرة العطاء، وقد وردت مادة "يسر" في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، وبصيغ مختلفة، ومن الآيات الحاملة لهذه المادة نجد ما يأتي : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^{١٨} قال تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾^{١٩} قال تعالى ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.^{٢٠} قال السعدي في معنى «يسرنا القرآن» التي وردت في سورة القمر أربع مرات : "أي ولقد يسرنا وسهلنا هذا القرآن الكريم، ألفاظه للحفظ والأداء ومعانيه للفهم والعلم لأنه أحسن الكلام لفظاً وأصدق معنى وأبينه تفسيراً، فكل من أقبل عليه يسر الله عليه مطلوبه غاية التيسير، وسهله عليه، والذكر شامل لكل ما يتذكر به العاملون ... قال بعض السلف عند هذه الآية: هل من طالب علم فيعان عليه.^{٢١}

(٦) المعلم: هو القائم بعملية التوجيه والإرشاد، ويحتاج إلى فهم عميق للقرآن الكريم ليتمكن من نقل تعاليمه بطريقة فعالة. فكرة المعلم في القرآن الكريم هي أن المعلم هو حامل لفضل عظيم ومنزلة رفيعة، حيث يُعد الله سبحانه وتعالى نفسه المعلم الأعظم، والنبي محمد ﷺ قد بعث معلماً. وينظر إلى دور المعلم على أنه أساس لبناء المجتمعات ونشر الخير والعلم. وتشمل هذه الفكرة تقدير المعلم واحترامه، وإخلاص المعلم في عمله، وتطبيق طرق تعليم فعالة تقوم على التلطف بالمتعلمين وضرب الأمثلة وتكرار المعلومة.

(٧) المتعلم: يتم التركيز على خصائصه الفردية، سواء كانت عقلية أو نفسية، مع العمل على تلبية احتياجاته وتكييف طرق التدريس لتناسب معه. فكرة المتعلم في القرآن الكريم تتلخص في كونه "أهل الله وخاصته" الذي يتعلم القرآن ويتلوه ويعمل به، ويُفضل من يعلمه لغيره، ويتطلب ذلك الإخلاص والتخلق بأخلاق القرآن والتأدب بأدابه، حيث يرفع القرآن صاحبه في الدنيا والآخرة ويجعله من خواص الله تعالى.^{٢٢}

أهداف البيداغوجيا القرآنية

التأثير في سلوك المتعلم: تسعى لتوجيه المتعلم نحو ما هو خير وصالح، مستندة إلى المبادئ الأخلاقية الواردة في القرآن. بناء المعرفة: تهدف إلى إكساب المتعلم معرفة متكاملة تشمل الجوانب الدينية والأخلاقية، وليست مجرد معلومات مجردة. تنمية الكفايات: تركز على تطوير قدرات المتعلم ومهاراته، لتؤهله لحياة أفضل في الدنيا والآخرة.

٥. سورة العلق

(١) التعريف بالسورة: هي إحدى سور القرآن الكريم، مكية بالاتفاق، والآيات الخمس الأولى هي أول ما نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم . بإجماع أهل العلم بغار حراء، في شهر رمضان، يوم الإثنين. وكان عمره أربعين سنة. وهي السورة السادسة وتسعون بحسب الترتيب المصحفي. وتسمى سورة العلق، أو سورة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^{٢٣}

(٢) جَوُّ النزول: إن سورة العلق هو أول ما نزل من القرآن الكريم على رسول الله ﷺ وهي أول ما نزل من الوحي واستهل به له أهمية خاصة، ومعانٍ ودلالات يجب الوقوف عندها وتدبرها، وإلقاء الضوء عليها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبَّبَ إِلَيْهِ الْخُلَاءُ فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَبِتَزُودَ لَذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزُودُ لِمِثْلِهَا حَتَّى يَجَاءَهُ الْوَحْيُ وَهُوَ فِي غَارٍ حِرَاءَ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ. قَالَ فَأَخَذَنِي فَعَطَّنِي، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُحْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَقَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُحْدُ: أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَقَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُحْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، حَتَّى بَلَغَ: مَا لَمْ يَعْلَمْ... وفتر الوحي.^{٢٤}

(٣) موضوع السورة الرئيسي: هو بدء الوحي أو الإيذان ببدء الوحي وقال بعضهم موضوعها الرئيسي قد يكون العلم والهداية المحاور الرئيسة لسورة العلق.

الخور الاول: هو بدء الوحي على رسول الله ﷺ وفضل الله على رسوله وعلى الأمة بنزول القرآن ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾^{٢٥}

الخور الثاني: بيان كمال الانسان بالعلم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^{٢٦}

الخور الثالث: طغيان الإنسان بالمال وتمرده على اوامر الله ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِفٍ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾^{٢٧}

الخور الرابع: قصة الشقي ابو جهل كمثل للطغيان لانه لرسول الله ﷺ عن الصلاة ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾^{٢٨} ختمت السورة بوعيد ذلك الشقي الكافر وامثاله بأشد العذاب إن استمر على ضلاله وطغيانه وكل من استمر على ضلاله وطغيانه وأمرت الرسول بعد الاهتمام بهذا المجرم الأثيم.

(٣) مقاصد السورة

من مقاصد السورة الكريمة: هي التنبيه على أهمية القراءة والكتابة، والعلم والتعلم، وتحديد لمن يقف في وجه الدعوة، وتبيين للنبي صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى عالم بما يحكيه الأعداء من مكر وصد عن الهدى، وأنه سبحانه وتعالى يدافع عنه وسينصره وسيعذبهم في الآخرة، فليمضي في طريقه غير عابئ بكيدهم.^{٢٩}

(٤) بيداغوجيا في سورة العلق

تُظهر سورة العلق جوانب بيداغوجية مهمة في القرآن الكريم، حيث تبدأ بتوجيه النبي محمد ﷺ إلى القراءة، وتأكيد أهمية العلم والمعرفة، وتشير إلى دور القلم في تدوين العلم. كما تُبرز السورة أهمية التواصل والاعتماد على الله في طلب العلم، وتذكر بأصل خلق الإنسان وكرم الله عليه.

أولاً: أهمية القراءة والعلم: سورة العلق تبدأ بالأمر بالقراءة «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ». وهذا الأمر بالقراءة هو الخطوة الأولى في طلب العلم والمعرفة، وتأكيد على أهميته في الإسلام. إن القراءة هي أول ما يجعل المرء أن يتعلمه، ففي تكرار الأمر «اقْرَأْ» دلالة واضحة وصریحة على ما للقراءة من أهمية بالغة لبني البشر، خصوصاً وأن هذا الأمر جاء من الله سبحانه وتعالى في أول وحي على نبيه محمد ﷺ الذي أرسله الله إلى قوم أهل جاهلية. فالقراءة «أول أمر إلهي للإنسان الغارق في بحار الجاهلية، حمله إليه النبي الأمي الكريم» فهي نور للبصيرة وصقل للعقل وطرد للجهل، بما يستطيع الإنسان أن يعرف أمور دينه ودنياه وبها يعبد ربه، وبالقراءة يحصل الإنسان المعرفة. وجاء في السورة تكرير الأمر بالقراءة للإشعار بحاجة الإنسان لمتابعة القراءة في حياته وليكون الإنسان قارئاً أبداً، على أي حال من أحواله، قارئاً بنفسه، أو قارئاً متابعاً لغيره.

ثانياً: دور القلم: دور القلم في تدوين العلم من أعظم الأدوار التي نخض عليها تاريخ المعرفة البشرية، فهو وسيلة حفظ الوحي، ونقل الشرع، وتوثيق السنن، وتدوين التجارب الإنسانية. بالقلم انتقلت علوم النبوة من جيل إلى جيل، وبه حُفظت كتب العلماء، وصارت المعارف رأس مال الأمم وحضاراتها. وهو أداة بناء الذاكرة العلمية للأمم، إذ يجمع النتائج العقلية والتراثي، ويحوّله إلى سجل باقي لا تطيحه الأيام. فالقلم ليس مجرد آلة كتابة، بل هو وسيلة إصلاح، وتربية، وتأريخ، وتراكم معرفي، ومن خلاله تتحول الفكرة إلى حضارة، والملاحظة إلى منهج، والمعرفة إلى قوة منتجة تغير الواقع وتصنع المستقبل.

ثالثاً: الأمر بالقراءة والكتابة: الأمر بالقراءة والكتابة في مطلع السورة ليس أمراً عادياً، بل هو تأسيس لمنهج تربوي ربّاني يجعل العلم مدخلاً لكل بناء حضاري وإنساني. فالإنسان لا يدخل عالم المعرفة إلا من بوابتين أساسيتين: القراءة التي تفتح أمامه الفهم، والكتابة التي تحفظ ما فهمه، وتضمن نقله وتطويرة عبر الزمن. فالقرآن حين ابتدأ بالقول: ﴿اقْرَأْ﴾ فهو يدعو الإنسان إلى استشارة عقله، وتفعيل حسن التأمل والاستيعاب. ثم حين قال: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ فهو يقرر وظيفة الكتابة في تسجيل المعرفة وتدوينها وإخراجها من حدود الفرد إلى مساحة الأمة.^{٣٠}

وبذلك يظهر أن الخطاب القرآني في سورة العلق يؤسس لبيداغوجيا متكاملة تقوم على الجمع بين تحصيل العلم (بالقراءة) وحفظ العلم ونشره (بالكتابة)، حتى يصبح العلم قيمة عملية تصنع الوعي، وترتقي بالأمة، وتفتح آفاق الإبداع والاكتشاف.^{٣١}

رابعاً: دعوة الى البحث والتأمل والتفكير: دعوة العقل البشري الى البحث والتفكير والانطلاق في اكتشاف ما أودعه الله سبحانه من أسرار الطبيعة البشرية والكونية بالبحث والتأمل في الحياة وبدئ الخلق ومصيره، وأول ما يبدأ به حقيقة أنه نشأ من شيء صغير حقير انتقل إلى إنسان كامل، وأنه نشأ لا يعلم فإذا به يتعلم ويعلم، وقد تتابعت الآيات الداعية الى هذا المبدأ بعد ذلك في القرآن الكريم.

خامساً: محاسبة النفس: إن الله تعالى هو الرب، وهو الخالق لم يخلق عز وجل الانسان عبثاً ولم يتركه سدى، بل رياه تربية أخلاقية بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأنه سبحانه علم الإنسان ما لم يعلم، ومنحه كل أسباب البقاء والنماء، واليه سيكون المرجع والمصير ليحاسب ويجازي على أعماله، بل وسيؤمر بقراءة صحيفة أعماله المكتوبة، قال تعالى ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّزَمْنَاهُ طَائِرَةٌ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۖ أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۚ مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^{٣٢}

سابعاً: التواضع والاعتماد على الله: تأمر السورة بالبداية باسم الله في القراءة، مما يدل على أهمية التواضع والاعتماد على الله في طلب العلم وعدم الغرور به، فالعلم في المنهج القرآني ليس مجالاً لتفخيم الذات أو التعالي على الناس، وإنما هو طريق للتقرب إلى الله، وتعظيم نعمه، وشكر فضله. فبداية الوحي كانت بربط فعل القراءة باسم الله، ليكون المتعلم مدركاً أن العلم هبة ربانية وليست نتاج قدرة بشرية مستقلة، وأن كل فهم وإلهام وتيسير ما هو إلا توفيق من الخالق. وهذا يؤسس لأخلاق الباحث والعالم المسلم، بحيث يكون العلم سبباً للخشوع لا للكبر، ولخدمة الخلق لا لاستغلالهم، وللإصلاح لا للفساد. فكلما ازداد العبد علماً ازداد تواضعاً، وكلما اتسعت معارفه زاد يقينه بربه وضعفه أمام عظمة الخالق.^{٣٣}

ثامناً: أصل خلق الإنسان: تذكر السورة أصل خلق الإنسان من علقه، مما يذكر الإنسان بتواضعه وأصل نشأته، وأنه مخلوق ضعيف قبل أن يكرمه الله بالعلم. وهذا المنظور التربوي القرآني يربط بين المعرفة والإيمان والأصل الأول للإنسان، فيتذكر المتعلم أن العلم ليس وسيلة استعلاء، بل طريق لمعرفة قدر الله ومعرفة حقيقة النفس. فالتربية القرآنية لا تفصل العلم عن التواضع ولا عن الاعتراف بالضعف البشري؛ بل تجعل من هذا الإدراك أصلاً في بناء شخصية الإنسان، حتى لا يغتر بما اكتسبه من معرفة، ولا يظن أن امتلاك أدوات العلم يجعله مستقلاً عن خالقه. وبذلك يرسخ القرآن قيمة الوعي بالهوية الخلقية للإنسان، لأن التذكر الدائم للبداية هو ضمان ألا يؤدي العلم إلى طغيان أو تعالٍ، بل يؤدي إلى تعظيم الله وشكره على ما وهبه من قدرة على التعلم.^{٣٤}

تاسعاً: مواجهة الطغيان: تحذر السورة من طغيان الإنسان عند الغنى أو القوة، وتشير إلى أن العلم قد يكون سبباً في الغرور والطغيان إذا لم يقترن بالتواضع والتقوى والاعتراف بفضل الله. فالقرآن يربط بين اكتساب العلم وأخلاقه، ليكون وسيلة للخير والإصلاح لا للكبرياء أو التسلط على الآخرين. كما تؤكد السورة أن القوة والمعرفة يجب أن تُستخدم في خدمة الإنسان والمجتمع، وأن أي تفوق معرفي أو سلطة فردية بلا ضابط أخلاقي يؤدي إلى فساد الذات والآخرين. بذلك، ترسخ السورة قيمة التوازن بين العلم والخلق، وتجعل التقوى والتواضع أساس كل امتياز علمي، حتى يكون العلم سبباً في نخضة الإنسان لا في طغيانه.^{٣٥}

عاشراً: الصراع بين الحق والباطل: تلمح السورة إلى استمرار الصراع بين الحق والباطل، وبين المؤمنين والكافرين، مؤكدة على ضرورة ثبات المؤمنين وصبرهم في مواجهة الباطل. فالقرآن يربط بين القوة الروحية للإنسان وإيمانه بالله وبين القدرة على مواجهة الشر والظلم، بحيث يصبح المؤمن محصناً بالتقوى والعلم واليقين. ويشير الخطاب القرآني إلى أن الانتصار للحق لا يكون بالقدرة المادية وحدها، بل بالثبات على القيم، والصبر على الابتلاءات، والاعتماد على الله، والتمسك بالهدى. بهذا المعنى، تصبح سورة العلق نموذجاً تربوياً يعلم الإنسان مواجهة الباطل بالعلم المقرون بالتقوى، والاعتماد على الله في جميع المواقف.^{٣٦}

الثاني عشر: الصلاة والعبادة: تشير السورة إلى أهمية الصلاة والعبادة كصلة مباشرة بين العبد وربّه، مؤكدة على أن السجود ليس مجرد فعل جسدي، بل هو وسيلة روحية للتواضع والخضوع أمام الخالق. فالعبادة تمثل إطاراً تربوياً للنفس، يغرس قيم الانضباط، والخشوع، والالتزام، ويجعل الإنسان واعياً لعلاقته بربه ومجتمعه. كما تربط السورة بين العبادة والعلم، حيث يكون التقدم المعرفي مصحوباً بالتقوى، فلا يؤدي العلم إلى الغرور، بل يرفع الإنسان إلى مقام القرب من الله ويقوّي وعيه بأخلاقيات الحياة. بذلك، تتحقق الغاية التربوية للعلم والعبادة معاً، في بناء شخصية متوازنة قادرة على خدمة الله والناس.

١. الخاتمة

وسورة العلق هي أول سورة نزلت لتأسس لافتتاحية الرسالة العظيمة التي جاء ليلغا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومفتاح الحضارة التعليمية والتربوية قلتو رر أن القراءة شأن من شؤون الرب اختص الإنسان إتماماً لنعمة الربوبية عليه. وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم والعقل، وهو نفسه القدر الذي امتاز به آدم عليه السلام على الملائكة؛ فلقد خلق الله تعالى الإنسان للقراءة والدراسة قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ • اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ • الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾. فقد كان من أهم ميزات الإسلام وخصائص تربيته الفريدة دعوته إلى العلم بمفهومه الواسع الشامل؛ ولذلك هدفت هذه الدراسة إلى معرفة الدلالات التربوية المستنبطة من سورة العلق.

الهوامش

- ^١ د. فاطمة الزهراء قشار، مدخل إلى البيداغوجيا والديداكتيك (الجزائر: كنوز الحكمة، ٢٠٢٣م)، ص: ١١.
- ^٢ Edwin A. Peel. "Pedagogy", www.britannica.com, Retrieved 31-3-2019 Edited.
- ^٣ د. نجا بجاوي، التربية والبيداغوجيا: دراسة نقدية لرؤية دوركايم، شعبة، شبكة المعلومات العربية التربوية، مجلة دفاتر المخبر. مج. ١١، ع. ١، ٢٠١٦م.
- ^٤ "Pedagogy", en.oxforddictionaries.com, Retrieved 31-3-2019. Edited
- ^٥ د. نجا بجاوي، التربية والبيداغوجيا: دراسة نقدية لرؤية دوركايم، شعبة، شبكة المعلومات العربية التربوية، مجلة دفاتر المخبر. مج. ١١، ع. ١، ٢٠١٦م.
- ^٦ المرجع السابق.
- ^٧ العربي السليمان، المعين في التربية (مطبعة النجاح البيضاء، ٢٠١٠م)، ص: ١٧٢.

⁸ A. Pritchard, *Effective Teaching with Internet Technologies Pedagogy: and Practice* (Paul Chapman Publishing), 2007.

- ⁹ ابن عاشور المالكي، *التحبير والتنوير*، ج، ١٥، ص: ٢٣١.
- ^{١٠} سيد قطب، *في ظلال القرآن*، ج، ٤، ص: ١٩٨٨-١٩٨٩.
- ^{١١} المصطفى دلال، «التواصل البيداغوجي والخطاب القرآني، مجلة التحبير»، المجلد : ٠٤ العدد، ٢ (الجزائر: جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، ٢٠٢٢م)، ص: ١٤١-١٥٩.
- ^{١٢} المرجع السابق.
- ^{١٣} المرجع السابق.
- ^{١٤} عبد الكريم غريب، *المنهل التربوي*، ج، ٢ (القاهرة: مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠١١م)، ص: ٩٣٦.
- ^{١٥} سورة القيامة: ١٦-١٨.
- ^{١٦} هو معلم وفيلسوف وكاتب مصري. كان أستاذا للفلسفة بجامعة القاهرة. اشتهر بمنهله التربوي عبد الكريم غريب وهو عبارة عن مجموعة مقالات عن التربية والفلسفة والأدب. تمت ترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية من قبل المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية في مصر.
- ^{١٧} *المنهل التربوي*، ج، ٢، ص: ٩٣٦.
- ^{١٨} سورة القمر: ١٧-٢٢.
- ^{١٩} سورة مريم: ٩٧.
- ^{٢٠} سورة الدخان: ٥٨.
- ^{٢١} السعدي، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، ج، ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م)، ص: ٨٢٥.
- ^{٢٢} نصائح وتوجيهات لمعلمي القرآن، ١٧.٠٤.٢٠٢٣م، [/https://fasayil-alnoor.com](https://fasayil-alnoor.com)
- ^{٢٣} سورة الفرقان: ١.
- ^{٢٤} الإمام البخاري، *الجامع الصحيح* (الرياض: مكتبة دار السلام، ٢٠٠٦م)، باب كيف كان الوحي، رقم الحديث: ٣.
- ^{٢٥} سورة الزخرف: ٤٤.
- ^{٢٦} سورة العلق: ١-٥.
- ^{٢٧} سورة العلق: ٦-٧.
- ^{٢٨} سورة العلق: ٩-١٠.
- ^{٢٩} محمد طنطاوي، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، ج. ١٥ (القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م)، ص: ٤٥١.
- ^{٣٠} محمد حسين الطباطبائي، *الميزان في تفسير القرآن*، ج ٢٠ (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٩٧م)، ص: ٢٥٣-٢٥٥.
- ^{٣١} الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠، ص: ١٢٩-١٣١.
- ^{٣٢} سورة الاسراء: ١٣-١٥.
- ^{٣٣} أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج ٢٠ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م)، ص: ١٢٩-١٣١.
- ^{٣٤} *الميزان في تفسير القرآن*، ج ٢٠، ص: ٢٥٣-٢٥٥.
- ^{٣٥} *الجامع لأحكام القرآن*، ج ٢٠، ص: ١٢٩-١٣١.
- ^{٣٦} *الميزان في تفسير القرآن*، ج ٢٠، ص: ٢٥٣-٢٥٥.